سلسلة بستان الزهور



الخُيوطُ الذهبيةُ

تأليف
لمياء شرف

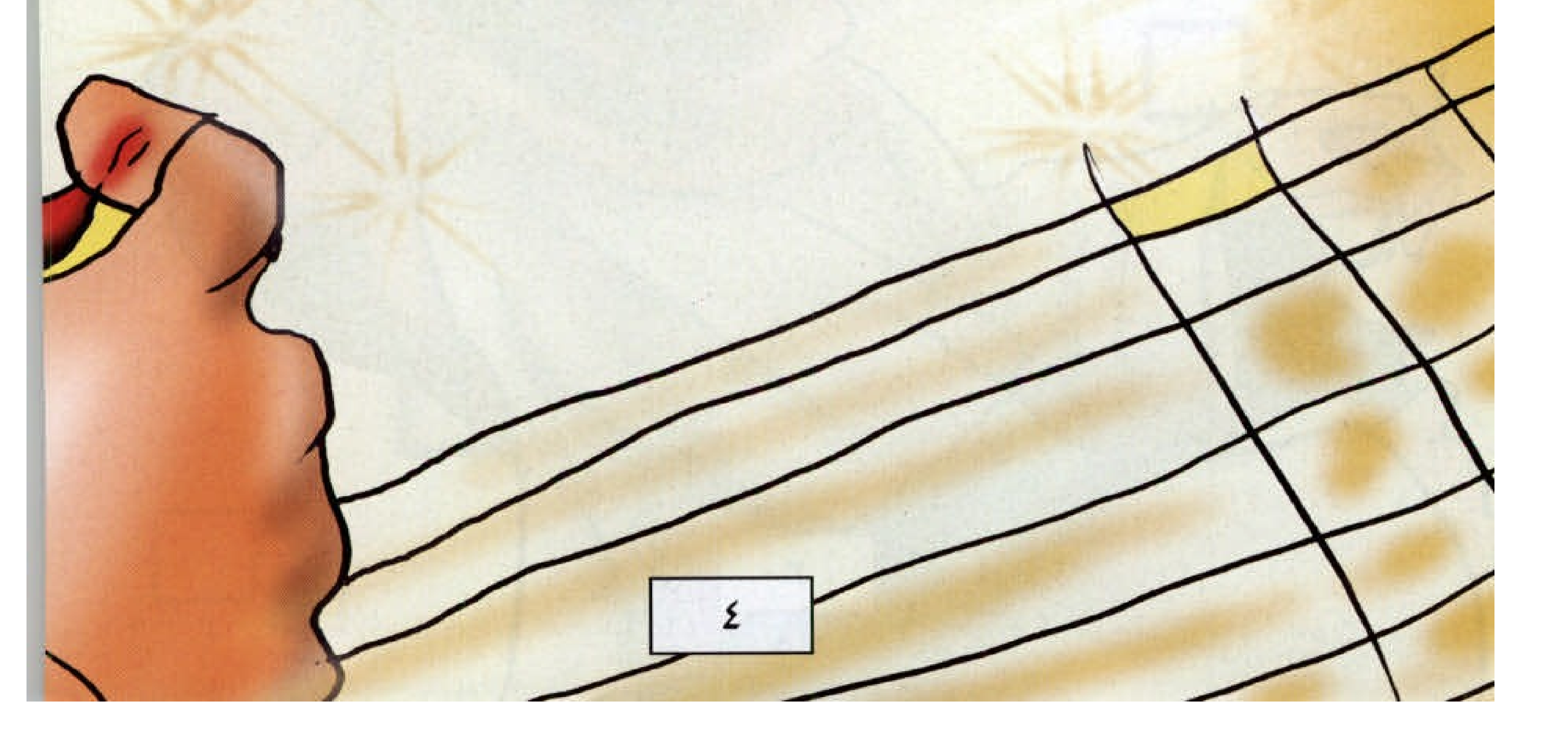
رسوم وجرافيك
إبراهيم عبد العزيز

العلم والإيمان  للنشر والتوزيع

صفيةْ بنتٌ حِكَايَتُها تَبْدُو أُسْطورِيَةً ,
وَلَكِنَّ الواقِعَ أَنَّها حِكَايَةٌ حقيقيةٌ حدثتْ
فِي إحْدَى المُدْنِ العربيةِ مُنْذُ زَمَنٍ
بَعِيدٍ مُنْذُ حَوَالَيْ ألفَ سَنَةٍ هِجْرِيَةٍ .



فِي صباحِ يوم مُشْرِق صَعَدَتْ صفيةُ إلى سَطْحِ المنزِلِ , وَجَلَسَتْ تَحِيكُ إحْدَى الْمَفَارِشِ الْمَصْنوعَةَ منْ الخيوطِ الذهبيةِ , فَهِيَ تُجِيدُ الحياكَةَ وَعَملَ كُلِّ المفروشَات اليدويةِ , وأيضًا أخلاقُها الكلُّ يُشِيدُ بأَنَّهَا أخلاقٌ مثاليةٌ , فَهِيَ تُساعِدُ أُسْرتَهَا وتَعْمَلُ كَيّ يَعيشُوا عِيَشةً هَنِيئَةً , وبَيْنَمَا هِيَ منهمكةٌ فِي عَمَلِهَا وَخَزَتْ إبرَةُ الحياكةِ إصْبَعَها , فَتَأَلَّمتْ صَفيَةُ , وَسَالَ منْ إصْبعِهَا قطرةُ دمٍ ذكيةٍ عَلَى أَحْدَى أَطْرَافِ الْمَفْرَشِ الْمصنوعِ مِنَ الخيوطِ الذهبيةِ



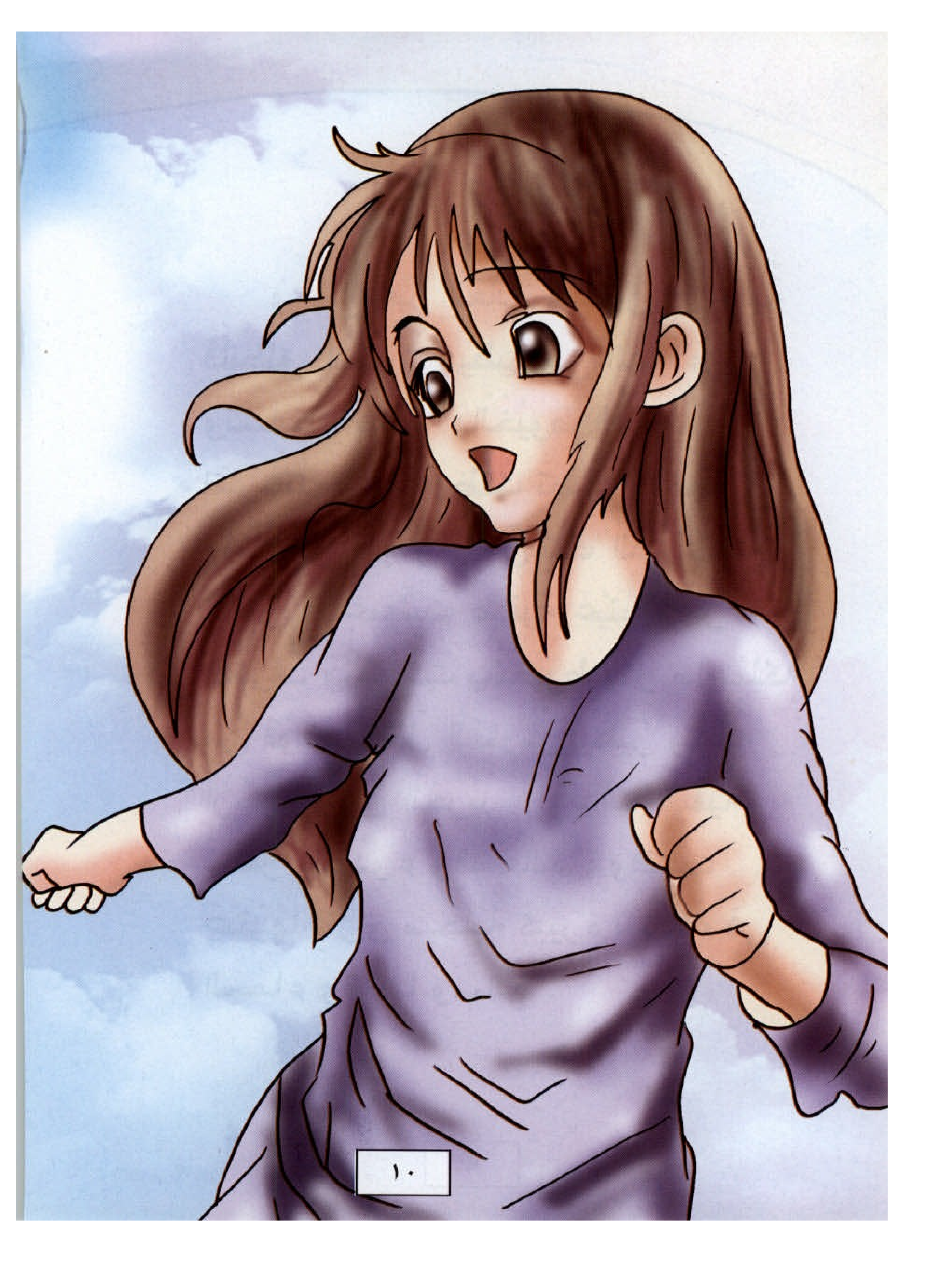




فأخذتْ صَفيةُ تُنَظِّفُهُ سَرِيعًا بِيَدِيهْا الرقيقةِ كَيْ لا يَتلفُ المفرشُ , وتَذْهبُ صُورَتَهُ البْهِيَّةُ , وَفَجأَةٌ بدأتْ الخيوطُ تَزْدَادُ طُولاً وعَرْضاً وتَتَّسِعُ لِتَصْنَعَ شَبكَةً عَنْكَبُوتِيَةً , فَركتْ صَفِيَةُ عَيْنَيْهَا كَيْ تَتَأَكَدْ أَنَّهَا تَرَى صُورَةً حقيقةً , وَلَكِنَّ الخيوطَ استمرتْ تَزْدَادُ وتَتَشَابَكُ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ فِي شَكل رُسُومَات هَنْدسيَةً , فَأَمْسَكَتْ صَفِيةٌ بِالخُيُوطِ فَوَجَدَتَهَا أُصْبَحَتْ خُيُوطًا قَوِيَةَ ,



وَعلَى غَيْرِ الْعَادَةِ هَبَّتْ رِيحٌ عَاتِيَةٌ فَأَنْطَلَقَ المَفْرَشُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ , وَتَشَابَكَتْ صَفيةٌ بِالْخُيُوطِ الذَّهَبِيَةِ صَرَخَتْ صَفِيَةٌ وظَلَّتْ تَصْرُخُ وَتَصْرُخُ , وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى مِنْ تِلْكَ الصَّرَخَاتِ الْمدَوِيَّةِ أَغْمَضَتْ صَفيةٌ عَيْنَيْهَا مِنَ الْخَوفِ وتَمَسَّكَتْ بِالْخُيُوطِ بكُلِ مَا تَمْلكَهُ مِنْ قُوَّة , وَظَلَّ الْمَفرشُ يَطِيرُ وَكَأَنَّهُ أُرْجُوحَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ , وَبَدأَتْ صَفيَةُ تَشْعُرُ بِالْهُدُوءِ وَالسَّعَادَةِ , وَفَتَحتْ عَيْنَيْهَا لِتَرَى سَحَابَةً كَبيرَةً بَيْضَاءَ فِي السَمَاءِ وَكَأَنَّهَا وِسَادَةٌ .





وَالطَّيُورُ تُلَوَّح لَهَا وَتَقُولُ : هَذِهِ الْخُيُوطُ الذَّهَبِيَّةُ التِي سَوْفَ تُنْقِذُنَا مِنَ الْحُرُوبِ وَالْجُيُوشِ الإسْتِعمَارِيَّة , فَتَعَجَّبَتْ صَفيةُ لِهَذِه العبارَةِ التِي تَكْشِفُ عَنِ الحياةِ المُستَقبَلِيَّة , وفِي إحْدَى أطْرَافِ المدينةِ كَانَ هُنَاكَ قَصرٌ عَظِيمُ البنيانِ , وتُحَاطُ بِهِ الأَسْوَارُ وَالحرَّاسُ.



لَقَدْ كَانَ هَذَا القَصرُ هوَ قصرُ الملِك ، وعنْدَ إحْدَى شُرُفَات القصرِ أقْتَرَبَ المفرشُ بالخيوطِ ، وبدأَ ينكمشُ طولاً وعرضاً ، فسقطتْ صفيةُ فِي الشُرفةِ والتقَطتْ المفرشَ بالخيوطِ الذهبيةِ ، فطوَتْهُ بعدَ أنْ رَجَعَ لصُورَتِه الأوليةِ ، ومِنْ وراءِ زُجاجِ الشرفةِ أَخَذتْ صَفيةُ تنظرُ عَلَى القصرِ الملَكيِّ وهِيَ مُنْبَهِرةُ بمَا تُشَاهِدُهُ ، مِنْ سَاعَاتٍ وَتُحَفٍ ، وَصُورٍ فَنِيَةٍ ، وَرُسُومَاتٍ عَلَى الحوائِطِ تَعكِسُ المَهارةَ المِعْماريَّةَ ، وستائِرَ مُنْسَدِلةٍ مْخمَلَّيةٍ ، وبَينَما هِيَ غَارِقَةٌ فِي تَأَمُلاَتِهَا وَأَحْلامِهَا أَفَاقَتْ عَلَى صَوْتٍ قوِيٍ أَجَشِّ فَنَظَرَتْ تِجَاهَ الصَّوتِ لِتَجِدَ الملَكَ يُنَّادِي فِي رَئِيسِ الحرَّاسِ

ويَأمُرَهُ أَنْ يَأْتيَ بأَسْرَعِ الخُيولِ , لِيُسَافِرَ بِهِ وَلِيُّ العهْدِ ابنَهُ الأَميرُ منصورُ إِلَي حُدودِ البلادِ , ويُحَقِّقُ النَّصَرَ عَلَى الأَعْداءِ , وبَينَما كَانَ الملكُ يتحدثُ مع رئيسِ الديوانِ .

جَاءَ الأَميرُ منصورُ لِيُخبِرَ وَالِدَهُ الملكَ العظيمَ أَنَّهُ استعدَّ للرحيلِ , وأَنَّ الجيوشَ فِي انتظارِ مجيئَهُ ليكونَ قَائداً لَهُمْ , ويَدُبُّ فِي نفُوسَهُم العزيمةَ وَرُوحَ النضالِ ورَفْضَ الهزيمةِ , وطردَ كُلِّ مُعتدٍ يُفَكرُ فِي الهُجومِ عَلَى المدينةِ , وينهَبُ كلُّ الثرواتِ الثمينةِ .

وحينئذٍ جَاءَ أحدُ الجنودِ مُسرعاً قائلاً :

يا مَلَكَ البلادِ ... يا مَلِكَ البِلادَ



هُنَاكَ جَاسُوسٌ فِي شُرفَةِ القصْرِ , فَسَمِعَتْ صفيَّةُ ما قَالهُ الجُنديُّ وارتعشت منَ الخَوْفِ , ونَادَى الملكُ : يا حُراسُ ... أَمسِكُوا بهذَا الجاسُوسِ في الحالِ , ولكنْ بسُرعةِ الريحِ , أنطَلَقَ الأَميرُ منصورُ نَحْوَ الشُّرفَةِ ليمْسِكَ بالجاسُوسِ , لِيَجِدَ أَمَامَهُ أجْمَلَ فتاةٍ فِي المدينةِ أَنَّها صَفيةٌ المسكينَةُ , فَسَألهَا في دَهشةٍ : مَنْ أنت يا فَتاةُ ؟ فقالتْ لَهُ وَهِيَ ترْتَعِشُ منَ الذُّعرِ : أَنَا اسْمِي صَفيةٌ , وَحِكَايَتِي بَدأَتْ هَذَا الصَّبَاحُ معَ الخيوطِ الذهبيةِ . فقالَ لهَا الملكُ : وَمَا هِيَ تلْكَ الخيوطُ الذهبيَّةُ ؟ فأَخَذَتْ تَسرُدُ صَفِيةُ حِكَايَتَها , وَقَدْ أَصْبَحتْ فِي حالةٍ غَيْرِ مُرضِيَةٍ مِنَ الْخَوفِ ,



فالتقطَ المَلكُ المَفرَشَ ذو الخيوطِ الذهبيةِ من يَدَها , وَأَخَذَ يفرُكُ أَحَدَ أَطْرَافِ الخُيوطِ , ليَجدُها تَزْدَادُ طولاً وعَرْضاً وَقَدْ صَنَعَتْ شَبَكةً قَوَيةً فَقَالَ الأَميرُ منصورُ : هَذِهِ الخيوطَ يا وَالدي سَوْفَ تُسَاعدنِي فِي الوُصُولِ إِلى أطْرَافِ المدينةِ بسُرْعَةٍ , فَسُرَّ المَلكُ لهذه الفكرةِ الجميلَةِ , وبعدَ مُرُورِ عدَّةِ أسابيعِ عَادَ الأَميرُ وَمَعَهُ النَّصْرُ ودَبَّتْ الْفَرحةُ أَرْجاءَ المدينةِ والقصْرِ , فالتعَاوُنُ والإتحادُ بَيْنَ البلدانِ العربيَّةِ يجْعَلُ الشُّعوبَ أَقْوى مِثْلَ الخُيوطِ الذَّهبيَّةِ , وتَزَوَّجَ الأميرُ منصورُ بأجْملِ فتاة ..صفيةٌ , وكَانَ موكِبُ العُرْسِ يزدانُ بالخيوطِ الذهبيَّةِ .